الذكرى الواحدة والأربعون

لثورة الملك والشعب

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد من القصر الملكي بالدار البيضاء، يوم 11 ربيع الاول 1415هـ موافق 20 غشت 1994م، خطابا إلى الأمة بمناسبة الذكرى الواحدة والأربعين لثورة الملك والشعب.

وفي ما يلي نص الخطاب الملكي السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز.

في مثل هذا اليوم انطلق ذلك الحدث الذي جعلنا نسمي يوم عشرين غشت «ذكرى ثورة الملك والشعب». إنه شعبي العزيز حدث يجب أن لاتأخذه منفردا بل يجب علينا أن نحلله وأن نسترشد به في إطار وفي قالب وفي روح وفي كنه تاريخنا المجيد، ذلك التاريخ الذي كما قلت اذا نحن ربينا أبناءنا عليه وعلى تعاليمه واذا هم أتقنوه في المدارس لايمكن بعد ذلك لأي مغربي أن يتنكر لبلده ووطنه وأخلاق وطنه وسيرة وطنه وفضيلة وطنه.

شعبي العزيز ـ إن حدث عشرين غشت لم يأت بنفسه. فاذا كانت له الخميرة الضاربة أطنابها في عروق التاريخ كانت له كذلك أسباب كثيرة ومتعددة في تاريخنا القريب وبالأخص في تاريخ الحماية. فلم تمض سنتان على اتفاقية الحماية حتى بدأ المغرب يرى سلسلة ذهبية ومجيدة من الأحداث والمعارك أظهرت أولا للمغاربة أنفسهم وأظهرت للمستعمر ثانيا أن الأولين عليهم أن يجدوا ويجتهدوا وأن يثابروا في طريق التضحية وعلى الآخر ألا وهو المستعمر ألا ينام على وسادته نوم الراحة لانه يوجد في عرين الأسود. فقلت لك ـ شعبي العزيز ـ لم تمض سنتان على إبرام اتفاقية الحماية حتى رأينا الانتفاضة الأولى وهي معركة «لهري» سنة 1914 ثم بعد سنوات وبالضبط في 1921 كانت معركة أنوال، وفي 1934 كانت معركة «بوغافر». ولم تكن تلك المعارك تقوم وحدها بل كانت تغذيها معارك أخرى تراكبها أو تسبقها أو تتلوها وهي معارك التوعية ومعارك الوطنية

ومعارك السياسة التي كان يرضعها أبناؤنا وأباؤنا في ثدي أمهاتهم ويربيهم عليها أباؤهم طيب الله ثراهم كلهم.

وفي سنة 1930 بدأت الحركة الوطنية. وفي سنة 1933 بدأت تتبلور مطالب الشعب المغربي. وفي عام 1937 وقعت مظاهرات صاخبة أدت الى ما أدت إليه. وفي 1944 كانت وثيقة الاستقلال. وفي 1953 كان منفى محمد الخامس رحمه الله من عرشه وإبعاده عن أسرته الكبرى.

وها أنت ترى شعبي العزيز أنه من 1912 إلى 1953 لم يجد المستعمر الراحة ولم يتمكن ولو من يوم واحد من الراحة. لماذا شعبي العزيز... لأن الشعب المغربي شعب تاريخي. هناك شعوب ليست تاريخية. أما شعبنا -ولله الحمد- فهو تاريخي. لأن تاريخه قديم ولأنه يمارس تاريخه ولأن ممارسته لتاريخه أدت به إلى أن يصنع تاريخه. ونظرا لارتباط هذا الشعب الكريم بالله وإيمانه بكتابه واتباعه لسنته فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعائه كلما دعاه.

فهذه العقود والقرون التاريخية هل تميزت بها - شعبي العزيز - جهة من جهات المغرب دون اخرى. فهل كانت الأسود في الشمال دون الجنوب والغرب والشرق وهل كانت اللبوث في الجنوب دون الشرق والغرب والشمال. وهل كان المجاهد ينحصر في غرب المغرب. وهل كان المضحي بنفسه لايوجد إلا بكثرته. لا. لقد كان المغاربة دائما أينما كانوا وأينما وجدوا جنديا واحدا وقائدا واحدا وضابط صف واحد كيفما كانت نوعياتهم وجهاتهم ولهجاتهم. نعم أقول لهجاتهم ونوعياتهم وشخصياتهم وثقافاتهم المحلية ولباسهم وحضارتهم المحلية.

إن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد أعطانا بلدا جميلا رائعا وممتازا جغرافيا وبشريا فما ذاك إلا لأن جغرافيته متنوعة مثلما هو متنوع بشره.

لقد ذكرت - شعبي العزيز - لفظ اللهجات لأنني أعتبر أن تلك اللهجات التي كثر الكلام عنها إما عن صدق أو عن تملق أو عن ديماغوجية تعد من مقومات أصالتنا. فرغم أن العربية جاءت لأن القرآن جاء فلم تمح العربية لهجاتنا ولم تطغ الحضارة العربية التي جاءت من الشرق على نوعيتنا وعلى كيفيتنا في الأكل واللباس والأهازيج والرقصات والبناء والتعمير بل تركت لكل جهة من جهاتنا. وها أنت تراها شعبي العزيز. أسلوبا خاصا في الهندسة وأسلوبا خاصا متميزا في الري وشكلا غريبا متميزا في ما يخص اللباس والطبخ وعادات الزواج والاحتفال بمواسم الربيع في كل مكان.

إن اللهجات شعبي العزيز أصبحت اليوم ضرورية لأن الغرب مع الأسف غزانا حتى في بيوتنا. فلا يوجد بيت من أصل ثلاثة بيوت إن لم يكن أكثر مع الأسف الا وتسمع فيه خلطا بين العربية والفرنسية أو خلطا بين العربية والاسبانية حتى أصبحت لغات بيتنا نوعا من «الاسبرانتو» لايفهمه إلا من يسكنه. فاذا كان الخلط واجبا فالخلط واجب ومستحب وضروري بين العربية ولهجاتنا. فأن أسمع طفلا مغربيا يخلط بين العربية الدارجة أو الفصحى وبين تاريفيت أو تامزيغت أو تاشلحيت أفضل وأشرف بالنسبة لي وأكثر مناعة بالنسبة للمستقبل من أن أسمع طفلا يتخاطب مع والديه خالطا بين العربية والفرنسية أو بين العربية والاسبانية. وإذا بقيت الأمور على هذا المنوال سنزيد حتى الانجليزية. لهذا - شعبي العزيز - اريد هنا أن اضع النقط على الحروف. فأنا خديمك المخلص لست أبدا ضد اللهجات بل أنا إنسان شغوف بالتاريخ وبفلسفة التاريخ. الشيء الذي يجعلني أحلل مقومات تاريخنا. والتاريخ إن لم يكن مصنوعا من عبقريات متعددة وأصالات متنوعة وعادات يتباهى بعضها مع بعض لن يكون أبدا تاريخا بل سيصبح سلسلة من الأحداث لايصنعها المرء بل يرغم عليها ويتحملها.

لذا يجب علينا شعبي العزيز أن ننتفض وأن نمنع هذا الخلط الذي ليس مغربيا في شيء. واذا كان من الضروري والواجب محاربة هذا الخلط الذي أعتبره مسخا فلابد أن يكون في التعليم الابتدائي على الأقل حصص لدراسة لهجاتنا حتى ننبذ كشيء غريب من ذاتنا وتفكيرنا وأصالتنا اللغات الأجنبية في بيتنا وفي تعليم أبنائنا وبناتنا. لذلك يجب ونحن نفكر في التعليم وبرامج التعليم أن ندخل تعليم اللهجات علما منا ان تلك اللهجات قد شاركت اللغة الأم ألا وهي لغة الضاد ولغة كتاب الله سبحانه وتعالى ولغة القرآن الكريم في فعل تاريخنا وأمجادنا. نعم علينا أن نعلم أن المغرب ملكية دستورية دينها الإسلام ولغتها اللغة العربية، تلك اللغة التي بدونها لاتصح صلاة ولا يجوز صيام ولا يمكن أن يكون هناك تقاضي بين الناس ولا يكون المسلم مسلما. علينا أن نتشبث بلغة القرآن ولكن لا على حساب أصالتنا ولهجاتنا ولاسيما أن جل المغاربة إن لم يكن أغلبيتهم لايمكنهم أن يقولوا انه ليس في سلالتهم أو في عرقهم أو في دمهم نصيب كثير أو قليل من الخلايا التي جاءت من ناحية ما تنطق بهذه اللهجات. فتاريخنا تاريخ مجيد - كما قلت لك شعبي العزيز - صنعناه بأنفسنا لأننا شعب تاريخي. فتاريخنا لم يكن أساسه ركن واحد بل أركان متعددة. وتلك الأركان كانت وطيدة وسليمة لانها كانت متنوعة وصاحبة عبقرية وأصالة.

أردت في هذا اليـوم ـ يوم الملحمة ويوم التـذكيـر بالملاحم ـ أن أحلل أمـامك ـ شعبي العزيز ـ أسباب تلك الملاحم وانتصارنا في تلك الملاحم. والكل في الكل لا أقـول البعض في الكل. أقـول الكل في الكل. فـإن لم يكن كل لايمكن أن نذكـر بالكل. وانطلاقا من هذا ـ شعبي العزيز ـ حافظ على أصالتك وعلى دينك ولغة دينك وهي العربية وحافظ على تقاليدك سواء كنت في الشمـال أو في الجنوب أو في الشرق أو في الغـرب. حافظ على لباسك في جهـتك وقبيلتك وحافظ على لهجاتك وعلى طبخك وهندستك وأدبك وشعرك ونثرك. حافظ على هذا كله لأن مغرب اليوم لن يختلف عن مغرب الأمس ومغرب الغد لن يختلف عن مـغرب اليوم. لأن المغرب في حاجة اليك شعبي العزيز كل يوم وفي كل حقبة من الأحقاب وفي كل قرن من القرون. إنه في حاجة الى أبنائه والى جنوده وإلى أسوده. وإنني لأتيـمن بأن يصحب هذا العيد ـ عيد ثورة الملك والشعب ـ بميلاد الرسـول الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين. وهنا يمكن أن أقول أو أكرر ما قاله أحد الخطباء المعروفين «عيدان يلتقيان فبأي آلاء ربكما تكذبان».

طابت ليلتك ـ شعبي العزيز ـ وهنيئا لك بهذه الملحمة. والدليل على ما قلت هو أن هذه الملحمة كنت مهيئا بها لتخوض ملحمة أخرى تبعثها وهي ملحمة المسيرة الخضراء. وها أنت على أبواب ملحمة الاستفتاء التأكيدي. وهكذا شعبي العزيز سوف نسير إن شاء الله من مرتبة إلى أعلاها ومن مقام إلى أشرفه حتى نكون خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.